لغز الكاميرا السرية



محمود سالم

لغز الكاميرا السرية

تأليف
محمود سالم



لغز الكاميرا السرية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٤٠ ١

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

حادث عند المستشفى ...	٧
شبح في الحديقة ...	١٣
سلسلة المفاتيح ...	٢٧
تختخ والشاويش «فرقع»	٣١
عندما تظهر «لوزة»	٣٣
عندما تُصبح المغامرة ... خطأ	٣٩
الحمد لله ... انقطع التيَّار ...	٤٥

حادث عند المستشفى ...

كانت هذه أول مرة يزور فيها «تختخ» المفتش «سامي» في منزله.

كان منزلًا أنيقًا منظَّمًا ... فيه من الذوق أكثر ممَّا فيه من الفخامة ... وكان يشغل شقةً في إحدى عمارات حي «جاردن سيتي» قرب النيل. وقد رحَّبت زوجة المفتش وابنته الجميلة «أمينة» بضيفهم ... ثم انسحبتا، وجلس المفتش و«تختخ» معًا يتحدَّثان.

قال المفتش: لقد شرَّفتني بهذه الزيارة ... وأنا آسف لأنني لم أدعُ بقية المغامرين ... فإنني أُريد أن أتحدَّث إليك وحدك أولًا.

ردَّ «تختخ»: الحقيقة أنني سعيد بهذه الزيارة ... وفي الوقت نفسه سألت نفسي لماذا دعوتني وحدي ... ولم تدعُ بقية المغامرين؟

المفتش: سأقول لكَ حالًا.

وقام المفتش وأحضر مجموعةً من الأوراق، من بينها مظروف سميك، وقال وهو يفتح المظروف:

إننا نُعالج قضيةً من أغرب القضايا ... وبرغم أنها من اختصاص جهات أمن أخرى ... فقد وجدنا لفرط خطورتها، أن تتعاون مختلِف الأجهزة على حلِّ غموضها.

ومدَّ المفتش يده داخل المظروف ... وأخرج مجموعةً من الصور الصغيرة، وقال وهو يمد يده ... بها إلى «تختخ»: هذه مجموعة من الصور، قد لا يُهمُّك كثيرًا أن تعلم ما بها ... فهي صور لجهاز إلكتروني خاص بتتبُّع الطائرات، والأقمار الصناعية في الجو ... وهو جهاز هام يقوم العلماء المصريون مع بعض الخبراء الأجانب بتطويره ...

وأخذ «تختخ» يتأمَّل الصور ... ووجد أنه لا يكاد يفهم منها شيئًا، ونظر إلى المفتش الذي ابتسم قائلًا: من إجراءات الأمن في المشروع ... أنه مُقسَّم إلى أجزاء في أماكن متفرِّقة، حتى إذا حدث تجسُّس على جزء منه؛ لا تنكشف أسرار بقية الأجزاء.

وقد حدث ما توقعناه ... فقد قام شخص ما بتصوير جزء من المشروع وهو الذي تراه في هذه الصور.

تختخ: جاسوس؟!

المفتش: نعم ... بالتأكيد.

تختخ: وحتى الآن لم تكتشفوه؟

المفتش: لا ... وهذا سبب استدعائي لك ... فإنني محتاج إليكَ في مهمَّة خطيرة!

تختخ: إنني تحت أمرك.

المفتش: إن العاملين في أبحاث تطوير الجهاز السري هم عدد من العلماء المصريين ... وخمسة من الخبراء الأجانب.

وتنهَّد المفتش واستطرد قائلًا: وبالطبع فهناك رقابة محكمة ... على الجميع بحيث لا يمكن أن يقوم واحد منهم بالتصوير.

تختخ: ولكن هذا حدث.

المفتش: نعم ... وهذا ما استدعيتُك من أجله ... إن الإجراءات التي تتم قبل أن يدخل أي واحد ... من العلماء إلى المعمل، لا تسمح مطلقًا بدخول أي نوع ... من أجهزة التصوير إلى المعمل.

تختخ: ولكن تمَّ التصوير.

المفتش: نعم ... وقد بحثنا التفاصيل كلَّها الخاصة بدخول العلماء إلى المعمل ... فلم نجد ثغرةً واحدة ... فالعلماء جميعهم يستبدلون ثيابهم قبل دخول المعمل ... ولا يُسمَح لهم بإدخال أي شيء معهم.

تختخ: وعلب السجائر والولَّاعات والخواتم والساعات وغيرها؟!

المفتش: ممنوع عليهم أخذ أي شيء من هذا ... ونحن نُحضر لكل منهم نوع السجائر التي يطلبها، ونضع لهم الكبريت بدلًا من الولَّاعات ... بل إنهم يخلعون أحذيتهم ذاتها قبل الدخول.

تختخ: مدهش!

المفتش: مدهش جدًّا ... بالإضافة إلى أنهم جميعًا قد اختيروا بعناية كاملة ... وتمَّ بحث حالاتهم وتاريخهم الشخصي، وعلاقاتهم بالآخرين ... وكل إجراءات الأمن التي تتخيَّلها؛ لمنع تسرُّب الصور لمختلِف أجزاء المشروع ...

تختخ: ومع هذا ... وقبل أن يُتم جملته قال المفتش: ومع هذا تمَّ تصوير أجزاء من المشروع!

تختخ: وكيف عثرتم على هذه الصور؟! إن تتبُّع آثارها لا بد أن يُؤدِّي إلى الشخص … الذي قام بالتصوير.

المفتش: للأسف … فإن ذلك شيء شديد الصعوبة … فقد حدث كل شيء بالصدفة … فمنذ ثلاثة أيام وقع حادث أمام مستشفى «المعادي»، في ساعة متأخِّرة من الليل … فقد خرجت سيارة نقل ذات مقطورة من الشارع الجانبي بجوار المستشفى … وكان السائق يظن أن طريق الكورنيش خالٍ في هذه الساعة … لهذا لم ينظر إلى ناحية اليسار؛ ليتأكَّد من خلو الطريق … وفي هذه اللحظة نفسها كانت سيارة ملَّاكي قادمةً بسرعة كبيرة في الاتجاه نفسه، فاصطدمت بالسيارة النقل، وانقلبت وتحطَّمت! …

كان «تختخ» يُتابع حديث المفتش باهتمامٍ بالغ … خاصةً بعد أن جاء ذِكر «المعادي» في الحديث، وهو مع بقية المغامرين … يعتبرون كل ما يحدث في «المعادي» من اختصاصهم.

ومضى المفتش يقول: وتوقَّفت سيارة النقل … ونزل السائق ومُساعده، ووجدا أن راكب السيارة الملَّاكي مصاب ومغمًى عليه … فقاما بنقله إلى المستشفى …

وتنهَّد المفتش وهو يقول: وقام الأطباء بإسعافه، ووضعوه في غرفة خاصة … وتمَّ إخطار الشرطة للتحقيق في الحادث … وقد وجدوا أن المصاب قد سقطت منه بعض الأشياء فجمعوها لتسليمها له … ولكن المفاجأة تمَّت عندما أقبل رجال الشرطة، وذهبوا لاستجواب المصاب … فوجئوا بأنه قد غادر غرفته واختفى … برغم أن الأطباء قالوا إن إصاباته خطيرة.

ونظر المفتش إلى «تختخ» وقال: واضح جدًّا أن الرجل قد هرب خوفًا من شيء … وعندما تمَّ فحص الأشياء التي سقطت منه، وجدنا مجموعةً من الأفلام الدقيقة جدًّا، قمنا بطبعها … فإذا بأجزاءٍ من مشروع الجهاز الفضائي موجودة فيه … وهكذا عرفنا لماذا هرب السائق برغم إصاباته؛ لقد خشي من القبض عليه … بتهمة التجسُّس والكشف عن الشبكة التي يعمل لحسابها …

وقد قمنا فورًا بإجراءات أمن حول خبراء المعمل من الأجانب والمصريين، ولكن جهودنا للكشف عن اتصال أيٍّ منهم بالرجل المصاب لم تُسفر عن شيء …

تختخ: ألم يترك الرجل المصاب خلفه أدلةً يمكن أن تُؤدِّي إلى الكشف عن شخصيته؟

المفتش: وجدنا بعض أشياء لا أهمية لها … منها «بايب» مكسور به آثار تبغ من نوع «الأمفورا»، وهو نوع شائع الاستعمال … وعلبة كبريت ممَّا تُوزِّعه شركات السجائر العالمية، ماركة «كِنت» … ومطواة صغيرة متعدِّدة الأسلحة من طرازٍ نادر … ولا شيء آخر.

تختخ: والسيارة؟

المفتش: السيارة ماركة «مرسيدس»، مُؤجَّرة من أحد محلَّات السيارات، باسم «كريم سليمان» ببطاقة مزوَّرة!

تختخ: إذن فقد أخفى آثاره جيدًا.

المفتش: برغم ضآلة ما تركه من أدلة ... فإننا نُحاول البحث عنه في خِضَم البشر في القاهرة.

تختخ: وما المطلوب مني ... أو من المغامرين الخمسة؟

فكَّر المفتش لحظات، ثم قال: مُهمَّة سخيفة، ولكنها حيوية جدًّا ... فسوف يعمل واحدٌ منكم خادمًا عند أحد الخبراء الأجانب ... إنه يبحث عن خادم ... وقد حاولنا أن نَدُس أحد رجالنا عليه، ولكنه يطلب من مكتب التخديم أن يكون الخادم صغير السن ... وهذا ما جعلنا نشك فيه ... فهذا يعني أنه خائف من شيء ... أو شديد الحذر ... فلماذا؟

لا بد أن عنده شيئًا يُخفيه، ولعله يكون الجاسوس الذي نبحث عنه ... فما رأيك ... هل تقوم بهذا العمل؟

إنكَ الوحيد الذي خطر ببالي ... فأنت تعرف الكثير عن الأساليب البوليسية ... وفي إمكانك أن تحصل لنا على معلوماتٍ وافرةٍ عن هذا الرجل.

ردَّ «تختخ»: بالطبع سوف أقوم بهذا الدور ... وهناك أسباب قوية للقيام به ... أولًا: خدمة للوطن ... ثانيًا: حبي لحل الألغاز المستعصية ... ثالثًا: كصديق لك.

قال المفتش مبتهجًا: أشكرك كثيرًا يا «توفيق». لقد كنتُ واثقًا أنكَ ستقبل القيام بهذا الدور.

تختخ: وما الترتيبات؟

المفتش: تُغيِّر ثيابك الأنيقة ... تتمرَّن على عمل الخادم.

تختخ: ذلك شيء يمكن عمله فورًا.

المفتش: عليك إذن أن تذهب لمكتب «الوفاء» للتخديم ... وقد اتفقنا مع صاحبه على ترشيحك للعمل عند الخبير الأجنبي.

تختخ: وأين يسكن؟

المفتش: في «المعادي» طبعًا ... إن أكثر الخبراء يُفضِّلون السكن هناك ... خاصةً أن مشروع تطوير الجهاز الذي حدَّثتك عنه في صحراء «المعادي» أيضًا.

تختخ: اتفقنا.

المفتش: لن أُعطيك أية أجهزة للتصنُّت … أو التسجيل … فهو خبير لا مثيل له في هذه الأجهزة … وأي نوعٍ منها سوف يكتشفه فورًا … لهذا فإنني أُفضِّل أن نعتمد على ذكائك ويقظتك.

تختخ: ما نوع المعلومات التي تُريدها؟

المفتش: أي شيء يمكن أن يُؤكِّد، أو ينفي صلته بموضوع التجسُّس على المشروع.

إن المسألة هامة جدًّا … وإنني أعتمد عليكَ كل الاعتماد.

وتصافح الصديقان، وخرج «تختخ» إلى الشارع وهو يُفكِّر في مُهمَّته القادمة … إنها أول مُهمَّة من نوعها في حياته … وأَمْن الوطن وسلامته أمانة في عنقه، يُريد أن يُؤدِّيها على أفضل وجه … واستقلَّ القطارَ عائدًا إلى منزله، وبعد ساعة كان قد تحوَّل إلى ولد آخر … إلى خادم صغير.

شبح في الحديقة ...

في المساء كان «تختخ» يقف في حديقة فيلا الخبير الأجنبي «مايزر»، ودُهِش «تختخ» لأنها فيلا قديمة تكاد تنهدم، وكان معه الحاج «حسين» صاحب محل «الوفاء» للتخديم ...

وتقدَّما من باب الفيلا، ودقَّ الحاج «حسين» الجرس ... وبعد لحظات فُتِح الباب، وظهر رجل طويل القامة بشكل غير عادي ... في نحو الخامسة والخمسين من العمر ... حليق اللحية والشارب، يضع على عينَيه نظارةً سوداء.

حيَّاه الحاج بهزة من رأسه ... وببضع كلمات إنجليزية مُكسَّرة أفهمه أنه يُرشِّح هذا الولد «توفيق» للعمل عنده ... نظر «مايزر» إلى «تختخ» نظرةً مباشرة ... ثم سأله: هل تعرف بعض الكلمات الإنجليزية؟

ردَّ «تختخ» بإنجليزية قصد أن تكون مكسرةً أيضًا: نعم ... فقد عملتُ من قبلُ عند عددٍ كبير من الأجانب.

عاد «مايزر» يسأل: وهل تُجيد التنظيف؟

تختخ: طبعًا. وأقوم ببعض أعمال الطهي أيضًا.

مايزر: تفضَّلا إذن.

دخل الحاج ومعه «تختخ» إلى الفيلا ... كانت مكوَّنةً من صالة وثلاث غرف، يتفرَّع من الصالة دهليز طويل، على جانبه الأيمن المطبخ ... وعلى الجانب الأيسر الآخر غرفة مغلقة ... وعند بداية الدهليز سُلَّم من الرخام، يصعد إلى الدور الثاني للفيلا، حيث كانت توجد غرف النوم.

كان «مايزر» رجلًا عمليًّا؛ فقد أشار إلى المطبخ وطلب من «تختخ» أن يُعِد له والحاج «حسين» قدحَين من الشاي ... ودخل «تختخ» إلى المطبخ، وأحسَّ أنه مرتبك قليلًا، ولكنه سيطر على أعصابه وبدأ يُعِد الشاي. ومن بعيد كان يسمع حديث «مايزر» والحاج «حسين»،

وفي الوقت نفسه كان يتأمَّل المطبخ ... وشطح خياله إلى إمكان وجود أجهزة سرية في المطبخ ... جهاز إرسال ... أو استقبال ... كاميرات سرية ... أجهزة تصوير دقيقة ... أشياء كثيرة ممَّا يستخدمها الجواسيس. خطرت برأس «تختخ»، ولكنه استردَّ خواطره بسرعة؛ فقد يكون «مايزر» هذا بريئًا ... ولا علاقة له بالأفلام التي حدَّثه عنها المفتش «سامي».

وضع الشاي في صينية وبجواره كوب من الماء المثلَّج، ثم حمل الصينية إلى حيث كان يجلس «مايزر» والحاج «حسين»، وبيد ثابتةٍ قام بتقديم الشاي ... وكان متأكِّدًا أن «مايزر» يرقبه ... وأنه يقوم باستكشاف طريقته في تقديم الشاي ... وعلى حسب رأي «تختخ» كان الامتحان ناجحًا ... فقد سمع الخبير الأجنبي وهو يقول للحاج «حسين»: إنه موافق على عمل «تختخ» عنده، مقابل خمسة عشر جنيهًا في الشهر ... ثم مدَّ يده في محفظة نقوده ... وأعطى للحاج خمسة جنيهات، تقبَّلها الحاج شاكرًا، وتركهما وخرج بعد أن شرب كوب الشاي بسرعة.

قام «تختخ» بنقل أدوات الشاي مرةً أخرى إلى المطبخ ... وقام بغسلها جيدًا ... كان يُحس طول الوقت أن «مايزر» يُراقبه ... وأنه يجب أن يُتقن دوره كخادم ...

وسمع «مايزر» يُناديه فأسرع إليه ... قال «مايزر»: إنني خارج الآن ... ضَع لي طعام العشاء على المائدة، وتستطيع أن تنام في أي وقت؛ إنني قد أتأخر.

قال «تختخ»: أمرك يا سيدي.

ومرةً أخرى أحسَّ بنظرات «مايزر» الفاحصة، خلف نظَّارته السوداء، ثم رآه وهو يُغادر الفيلا ... وسمع صوت أقدامه في الجراج، ثم سمع صوت السيارة وهي تدور وتنطلق.

عندما ابتعد صوت السيارة، وأدرك «تختخ» أنه أصبح وحيدًا ... أسرع على الفور في البدء بالمهمَّة التي جاء من أجلها ... كان عليه أن يُفتِّش كلَّ ركن في الفيلا تفتيشًا جيدًا؛ لعله يعثر على شيء يُثبت به صلة «مايزر» ... بعملية التجسُّس.

وقرَّر أن يُقسِّم الفيلا إلى أقسام ... وأن يبدأ بالدور العلوي حيث غرف النوم ... وأخذ يصعد السلالم ببطء ... وبرغم أنه كان وحيدًا في البيت فقد كان يُحس بنظرات «مايزر» وهي تُطارده ... وأدهشه أن يكون لنظرات هذا الرجل الطويل مثل هذا التأثير عليه.

كان نظام الغرف في الدور الثاني مثل الدور الأول تمامًا ... الاختلاف كان في مكان المطبخ؛ فقد كان الحمَّام بدلًا منه.

كان الأثاث بسيطًا كما هو الحال ... في أغلب الشقق المفروشة ... فلم يستغرق تفتيش «تختخ» للغرف والأثاث أكثر من ساعة ... كان يُلقي نظرةً فاحصةً على الغرفة قبل أن

يبدأ في تفتيشها … ثم يُفتِّش كلَّ شيء ويُعيده إلى مكانه … وبعد أن انتهى من التفتيش كانت عنده عدة ملاحظات:

الأولى: أن «مايزر» رجل مُنظَّم، رائع النظام … فكل شيء في مكانه تمامًا بلا زيادة ولا نقصان.

الثانية: أن «مايزر» رجل شديد البساطة في ملبسه وحاجيَاته … فلم يكن فيها شيء فاخر أو مُبالغ فيه.

الثالثة: أن «مايزر» لا يستخدم أي نوع من أجهزة التصوير الفوتوغرافي … فليس في الفيلا كلها كاميرا من أي نوع.

الرابعة: أن الشيء الوحيد الذي يجوز أن يكون موضع شبهة هو جهاز راديو فخم، من طراز «ستلايت» عظيم الحساسية …

وقد حاول «تختخ» أن يستمع إليه فلم يستطع … فقد كانت أجهزته معقَّدة … وأثار ذلك انتباه «تختخ» تمامًا … ولكنه لم يعتبره على كل حال … دليلًا يمكن به إدانة «مايزر»؛ فوجود جهاز راديو مهما كان متقدِّمًا ومعقَّدًا لا يُعَد دليلًا على شيء …

انتهى «تختخ» من تفتيش الغرف … وأعاد كل شيء إلى مكانه … ونظر نظرةً أخيرة … وقال إنه حتى لو اكتشف «مايزر» شيئًا ليس في مكانه، ففي إمكان «تختخ» أن يقول له إنه كان يُنظِّف الأشياء ويُرتِّبها.

نزل «تختخ» إلى الدور الأول … كان يُحس بنوعٍ من خيبة الأمل … فقد كانت جولته الأولى فاشلة … فلا شيء هنا يُثير الريبة … كان واضحًا أنه سينام في الغرفة الصغيرة الملحقة بغرفة الطعام … فقد وجد فراشًا بسيطًا استلقى عليه، وأطلق لتفكيره العِنان … ماذا يفعل المغامرون الآن، والكلب «زنجر»؟ … وفكَّر طويلًا، ثم قرَّر أن ينام بعد أن يتناول طعامًا خفيفًا … ودخل المطبخ … وأعد بعض الساندويتشات تناولها بشهية، وشرب كوبًا من اللبن، ثم عاد إلى غرفته … كانت الساعة العاشرة تقريبًا … وأخرج من حقيبته كتابًا واضطجع في سريره وأخذ يقرأ … كان كتابًا شيِّقًا عن التحوُّلات القادمة في المستقبل … كيف سيُصبح شكل الحياة بعد التغيُّرات الهائلة في كل شيء …

واستغرق «تختخ» في القراءة … ولكن فجأةً أحسَّ بحركةٍ ما … حركةٍ تختلف عن ما تسمعه أذنه طول الوقت … ليست حفيف ورق الشجر … ولا صوت السيارات البعيدة … وتنبَّه على الفور فوضع الكتاب جانبه، وجلس في سريره وأخذ يُركِّز سمعه وانتباهه، حتى استطاع أن يُحدِّد مكان الصوت، كان قادمًا من الحديقة قريبًا من غرفته.

لم يكن قد خلع ثيابه بعد ... فقفز من الفراش في هدوء كالقط ... وأسرع إلى النافذة ووضع أذنه عليها ... كان صوت أقدام تتحرَّك في الحديقة لا شك ... ودقَّ قلبه بعنف ... من هناك؟

ترك نور الغرفة مضاءً وخرج إلى الصالة ... ثم وقف بجوار الباب الخارجي برهة، وفتحه بهدوء وخرج ... وانحنى جانبًا، ثم تسلَّل تحت إحدى الأشجار.

كانت الحديقة كثيفةً بأشجارها وأزهارها ... وببعض الأقفاص التي يحتفظ فيها «مايزر» ببعض النسانيس والقطط البرية والزواحف ... وبكشك كبير تُحيط به شجرة ضخمة تكاد تُخفيه عن العيون.

ربض «تختخ» في الظلام فترةً يستمع ... وكانت النسانيس تُطلق صفيرها الحاد بين لحظة وأخرى ... وانحنى «تختخ» وانبطح على الأرض ووضع أذنه عليها ... كانت هذه أفضل وسيلة لسماع صوت أقدام أو حركة فوق الأرض ... وسرعان ما التقطت أذنه صوت الأقدام ... فوقف واتجه إليها بهدوء ... واستطاع برغم الظلام الذي يُخيِّم على الحديقة من أن يرى في الأضواء البعيدة شبح شخصٍ يقف بجوار نافذة غرفته ... وكان واضحًا أن الشبح يُحاول النظر ... من خلال المصراع الخشبي ليرى ما يدور في الداخل ... كان من الصعب جدًّا أن يتبيَّن ملامح الشبح ... وأخذ يُفكِّر بسرعة فيما ينبغي عمله ... هل يتركه ينصرف حتى يرى ماذا يُريد؟ هل يلتحم معه؟ هل يصرخ في طلب النجدة؟

ووازن بين الاحتمالات الثلاثة ... إن الالتحام معه ليس مضمونًا ... فهو يبدو ضخمًا ... وقد ينتهي هذا الالتحام بهزيمته ... وإذا صرخ ففي الأغلب سوف يتنبَّه الشبح ... وربما يتمكَّن من الفرار قبل أن يصل إليه أحد ...

وهكذا تغلَّب الاحتمال الأول ... وظلَّ يرقب الشبح لحظات، وهو يُحاول أن ينظر من خلال المصراع الخشبي ... ثم تنازل عن المحاولة وأخذ يدور في الحديقة لحظات، ثم خرج من الباب ... وأسرع «تختخ» يقف بجوار السور ليرى أين سيذهب الشبح ... ولكنه اختفى تمامًا كأنما انشقَّت الأرض وابتلعته! ... ودُهِش «تختخ» لهذا الاختفاء المثير ... وفكَّر أن يخرج إلى الشارع، ولكن بعد لحظات من التفكير عاد إلى داخل الفيلا ... وأغلق الباب خلفه، ثم دخل إلى غرفته ... وقرَّر أن يستيقظ مبكِّرًا في الصباح؛ ليرى آثار تحرُّك الشبح في الحديقة ... ربما استطاع أن يعرف شيئًا عنه عن طريق آثار أقدامه ...

اضطجع في فراشه مرةً أُخرى وقرَّر أن يستسلم للنوم ... ولم يكَد يُطفئ النور ويتمدَّد في فراشه، حتى سمع صوت سيارة يقترب، ثم تدخل إلى الجراج الملحق بالفيلا ... وعرف

أنها سيارة «مايزر»؛ فقد سمع صوت بابها يُفتَح ثم يُغلَق، وسمع صوت المفتاح وهو يُولَج في القفل، ثم فُتح الباب ... لم يسمع صوت أقدام «مايزر» وهو يدخل؛ لعله يلبس حذاءً من المطاط ...

وفضَّل «تختخ» أن يتظاهر بالنوم، وخُيِّل إليه أنه يسمع صوت أقدام «مايزر» وهو يتجه إلى غرفته مباشرةً في الدور العلوي ... ثم خُيِّل إليه أنه يعود مرةً أخرى ... إلى الطابق الأرضي ... وتوقَّع أن يذهب إلى المطبخ ليتناول عشاءه ... ولكن بدلًا من ذلك سمع صوت قدمَيه بمنتهى الخفة تتجهان إلى غرفته هو ... وأحسَّ بقلبه يدق بعنف، ثم توقَّف «مايزر» ... أمام غرفته، وخُيِّل إلى «تختخ» أنه يضع أذنه على الباب، كأنه يستمع إلى ما يدور في الغرفة.

أخذ «تختخ» يتنفَّس طبيعيًّا كشخص نائم، وهو شديد الدهشة لما يفعله «مايزر»، ونتيجةً لهذا التنفُّس المنتظم فقد استغرق في النوم ... وظلَّ نائمًا حتى الصباح ... وعندما استيقظ نظر إلى ساعته ... كانت تُشير إلى السادسة صباحًا، وهو الموعد الذي قرَّر أنه يستيقظ فيه ... فقد كان من عادته إذا نام وهو مشغول بموعد محدَّد أن يستيقظ في الوقت المناسب.

قفز من فراشه ... وأسرع يُعِد الفطور للرجل الذي يعمل عنده ... وقد كان يعمل بدقة حتى لا يقع في خطأ ما ... وعندما انتهى من إعداده ... صعد السلالم إلى غرفة نوم «مايزر»، وأخذ يدق بخفةٍ على الباب ... وعندما لم يسمع إجابةً مدَّ يده بهدوءٍ ليفتح الباب ... وكم كانت دهشته أن وجده مغلقًا من الداخل!

دقَّ البابَ بعنف أكثر ... وسمع صوت «مايزر»: من الداخل؟ ... وقف ساكنًا بجوار الباب. مرَّت لحظات قبل أن يفتح الرجل الباب، ثم يقول: صباح الخير ... لقد استيقظت ... سأنزل حالًا.

عاد «تختخ» إلى الدور الأرضي، ومضت نحو عشرين دقيقة، بعدها نزل «مايزر» ... وقد ارتدى ثيابه الكاملة، وكان يبتسم، ولكن عين «تختخ» الخبيرة أدركت أن «مايزر» لم ينَم طويلًا.

تناول الرجل إفطاره وهو ينظر إلى ساعته بين لحظة وأخرى ... وعندما انتهى منه ... لاحظ «تختخ» أنه يأكل كثيرًا بالنسبة للإفطار كعادة الأوروبيين ... ثم غادر المائدة وهو يشكر «تختخ» ... ويُثني على إعداده للإفطار.

وغادر الرجل الفيلا مسرعًا في السابعة والنصف ... وأخذ «تختخ» يُنظِّف المائدة، وكانت له ملاحظة على طريقة «مايزر» في الأكل.

عندما انتهى «تختخ» من كل شيء ... نظر في المرآة ليتأكَّد من تنكُّره ... ثم حمل سلة الخضار وخرج إلى السوق ليشتري طعام الغداء ... ولكنه قبل أن يذهب إلى السوق تسلَّل إلى حديقة منزلهم ... كان والداه مسافرَين، والشغَّالة فقط في المنزل ... وقد وجدها تقف أمام الباب وتنظر إليه في دهشة.

ولكن «زنجر» لم ينظر في دهشة، ولم ينتظر لحظةً واحدة ... فقد قفز من مكانه، وانطلق إلى المغامر السمين يقفز عليه، ويلعق وجهه ... ومن ترحيب «زنجر» بـ «تختخ» أدركت الشغَّالة أن «توفيق» يقوم بإحدى مغامراته، وقالت: «توفيق»؟! لقد شغلتَني عليك! ...

تختخ: آسف جدًّا ... إنني مشغول بعملية ما.

دخل «تختخ» إلى الفيلا وخلفه «زنجر»، وأسرع إلى التليفون. اتصل بالمفتش «سامي» ... الذي ردَّ عليه على الفور قائلًا: صباح الخير ... كيف حال خادمنا العزيز؟

تختخ: كل شيء بالنسبة لي على ما يُرام ... المهم أنني لم أحصل على معلومات بعد.

المفتش «سامي»: إنك لم تقضِ إلا يومًا واحدًا، ومثل هذه المهام قد يستغرق العمل فيها شهورًا ... بل سنوات!

قال «تختخ»: سنوات؟! ... معنى ذلك أن أتخرَّج من جامعة الخدم والحشم! ...

ضحك المفتش وهو يقول: إذا شعرت في أية لحظة بالضيق فيمكنك أن تترك العمل فورًا.

تختخ: على العكس ... إنني مستمتع تمامًا بدوري ... كل ما هنالك أنني مُتعجِّل أن أعثر على شيء.

المفتش: لا تقلق ...

تختخ: لقد لاحظتُ شيئًا ولكني لست متأكِّدًا أنه ذو أهمية.

المفتش: ما هو؟!

تختخ: إنه شيء يتعلَّق بطريقة أكل «مايزر»!

المفتش: طريقة أكله! ... لا أفهم ماذا تقصد بالضبط.

تختخ: إنني نفسي لست متأكِّدًا ... ومن الأفضل أن أنتظر حتى أتأكَّد، ثم أتصل بك.

المفتش: إذن إلى اللقاء في مكالمة أخرى.

تختخ: إلى اللقاء.

وضع «تختخ» السمَّاعة، ثم فكَّر لحظات، ثم اتصل بـ «محب» الذي صاح: أين أنت؟! إن المغامرين يسألون عنك.

تختخ: إنني في مهمة بسيطةٍ تحتاج لمغامر واحد ... ولكن أحتاج لمساعدتكم!

محب: يُسعدنا طبعًا أن نشترك معك.

تختخ: إنك تعرف شارع ١٩ ... في نهايته فيلا قديمة تُحيط بها حديقة واسعة ... إنني أعمل في هذه الفيلا كخادم ... ولاحِظ أن مُهمَّتي سرية جدًّا ... ولن أقول لكَ أكثر من ذلك ... وأمس ليلًا وأنا متمدِّد في الفيلا ظهر شخص لا أعرفه في الحديقة وطاف حول الفيلا ... وقد تسلَّلتُ خلفه في الظلام ... ولكني لم ألتحم معه ... وقد اختفى دون أن يترك أثرًا.

محب: ثم ماذا؟

تختخ: إنني سأعود إلى البيت لتفتيش الحديقة؛ لعلني أعثر على أثر له ... ولكن ما أطلبه منك هو أن تكون بجوار التليفون ليلًا ... وتكون جاهزًا للحركة ... فإذا ظهر الشبح في الحديقة فسوف أطلب منكَ الحضور.

محب: هل أحضر وحدي إذا دعوتَني؟

تختخ: يمكن أن تُوزِّعوا أنفسَكم حول الفيلا.

محب: هل أُحضر «نوسة» و«لوزة» أيضًا؟

فكَّر «تختخ» لحظات، ثم قال: لا ... لا داعي لهما ... إن الرجل يحضر في ساعة متأخِّرة ... يكفي أنت و«عاطف» ...

محب: إذن سأكون في انتظار تليفونكَ في أية لحظة.

دخل «تختخ» غرفة التنكُّر ... وأخذ يُصلح من تنكُّره وهو غارق في التفكير ... كان يُفكِّر في طريقة «مايزر» في الأكل ... شيء ما لفت نظره، ولكن ليس له تبرير. ثم انتقل تفكيره إلى الموقف الذي هو فيه ... إنه لم يحصل على شيء ... ولعل «محب» و«عاطف» يتعرَّضان للخطر ليلًا ... وتعليمات المفتش «سامي» واضحة، في أنه يجب أن يعمل وحده.

أحسَّ «تختخ» أنه مرتبك ... وغادر المنزل وهو يحمل سلة الخضار ... ويحمل في رأسه عشرات الأفكار ... وحاول «زنجر» أن يتبعه ... ولكنه حدَّثه قائلًا: لستُ في حاجة إليكَ الآن يا «زنجر» ... ولكن ربما بعد ساعات أو أيام أحتاج إليك.

وفهم الكلب الذكي ما يُريده صاحبه ... فأحنى رأسه، وأدخل ذيله بين ساقَيه، ثم عاد إلى كوخه الخشبي في نهاية الحديقة، وأخذ ينظر إلى صاحبه بنظرات كلها لوعة وأسًى.

ذهب «تختخ» إلى سوق الخضار في وسط «المعادي» ... وأخذ يشتري لوازم الطعام، كأي ربة بيت عاقلة ... ثم أخذ طريقه إلى الفيلا مسرعًا ... كان يُريد أن يبحث عن آثار للرجل الذي حضر ليلًا ... ربما ترك شيئًا، أي شيء يدل على شخصيته.

وصل إلى الفيلا في نحو الساعة العاشرة ... وكان أمامه بعض الوقت قبل أن يبدأ في إعداد الطعام ... فخرج إلى حديقة الفيلا ... وأخذ يلف ويدور فيها وعيناه تبحثان عن شيء ... أي شيء، يمكن أن يدلَّه على شخصية شبح الليل ... وطال الوقت وهو يلف ويدور، ودون أن يرى أي شيء ... أكثر من الأوراق المتساقطة على الأرض. وخطر له شيء مدهش ... إن «مايزر» لا يستخدم أحدًا للعناية بالحديقة ... برغم أنه يعلم حب الأوروبيين عمومًا للحدائق والورود والأشجار ... كان خاطرًا مثيرًا ... واقترب من الكوخ القديم في طرف الحديقة ... ودار حوله ... كان مبنيًّا بالحجر الأبيض الذي أحالت الأيام لونه إلى الاصفرار ... وقد غطَّته الأشجار المتسلِّقة ... واختفى بابه ونوافذه خلف الأشجار والأوراق ... وكان واضحًا أنه لم يُستخدم منذ زمن طويل.

أحسَّ «تختخ» بعد ساعة من المشي والبحث بخيبة الأمل ... لقد عاد باستنتاج سلبي واحد ... أن «مايزر» لا يستخدم أحدًا للعناية بالحديقة ... فهل يعني هذا شيئًا؟

عاد إلى الفيلا ... واهتمَّ أن يُنظِّف حذاءه جيدًا من آثار الحديقة ... ثم وقف أمام المرآة لحظات أصلح فيها من تنكُّره ... ثم انهمك في تقشير البطاطس ... وإعداد اللحم ... ووضع كلَّ ذلك على «البوتاجاز» ... وهو يدعو الله أن تخرج «الطبخة» جيدة، حتى لا يتعرَّض موقفه عند «مايزر» ... لأي مضايقات.

جلس في مقعده أمام «البوتاجاز» يُفكِّر ... إن الحادث الذي وقع للرجل الذي هرب ... يدل على أنه كان قادمًا من «المعادي» ... وأنه كان يحمل معه الأفلام الدقيقة، التي تكشف عن أسرار خطيرة ... ومعنى ذلك أن الجاسوس الذي قام بالتصوير موجود في «المعادي» ... فهل هو «مايزر»؟

إن هذه هي مُهمَّته ... أن يعرف إذا كان «مايزر» أو لا ... وشكوك المفتش «سامي» في «مايزر» لها ما يُبرِّرها ... فهو يعيش وحده تمامًا ... وهو يطلب خادمًا صغيرًا فهو يخشى الكبار؛ لأنهم قد يكونون من رجال الأمن ... إذن فشكوك المفتش «سامي» لها ما يُبرِّرها ... خاصةً إذا أُضيف إليها شبح الحديقة الذي جاء أمس ... ربما يكون لصًّا عاديًّا، وربما يكون رجلًا له صلة بعملية التجسُّس ...

وخطر بباله شيء مدهش ... استنتاج آخر بعد استنتاجه الأول، وهو عدم استخدام «مايزر» لرجل يعتني بالحديقة ... وهذا الاستنتاج الثاني هو إذا كان الرجل الذي أُصيب في الحادث قد هرب من مستشفى «المعادي» ... فأين ذهب؟ إنه مصاب بجروحٍ خطيرة، كما قال الأطباء ... وليس باستطاعته الذهاب إلى القاهرة وهو بهذا الحال ... والحل الوحيد

أن يذهب إلى «المعادي» لأنها قريبة … نحو كيلومتر واحد ويصل إليها … إذن فقد عاد المصاب إلى «المعادي»، فإلى أين يذهب؟ المعقول جدًّا أن يذهب إلى الرجل الذي يتعامل معه … إلى الجاسوس.

فهل هذا الجاسوس هو «مايزر»؟ إن الحادث مضى عليه أربعة أيام، وهي مدة لا تكفي لشفاء المصاب … فأين هو؟ … إذا كان عند «مايزر» فأين يُخفيه؟ … الحل الوحيد أن يُخفيه في كوخ الحديقة … ولكن من الواضح جدًّا أن الكوخ لا يُستخدم أبدًا … فالباب غائص في الأرض، والنوافذ مغلقة وعليها الصدأ، والأتربة وأوراق وأغصان الشجر … إذن أين يختفي الرجل الهارب؟!

وفجأةً خطرت بباله الغرفة المغلقة في الدهليز … نعم الغرفة المواجِهة لغرفته … وللمطبخ مباشرة … لماذا هي مغلقة؟ استولى على «تختخ» نوع من الرعب … هل من الممكن أن يكون الرجل المصاب معه في الفيلا نفسها؟ معه الآن، على بعد خطوات منه؟! … وتذكَّر تحرُّكات «مايزر» في الليل … إنه ليس متأكِّدًا تمامًا ممَّا حدث … ف «مايزر» يستعمل حذاءً من المطاط من الصعب سماع صوته … ولكن ما توهَّم أن ما سمعه أمس عند عودة «مايزر» … ليلًا، زاد من شكِّه في الغرفة المواجهة لغرفته … لقد خُيِّل إليه أن «مايزر» وقف أمام غرفته … ولكن لعله وقف أمام الغرفة الأخرى … وربما دخلها … فقد استغرق «تختخ» في النوم، ولم يعرف ماذا فعل «مايزر».

أخذ ذهن «تختخ» يعمل بسرعة الصاروخ وهو جالس في مكانه … هل يقوم الآن ويُحاول فتح الغرفة المواجهة له؟ هل يجد فيها الرجل الهارب؟! إن ذلك سيكون «خبطة العمر» بالنسبة له … ففي يومٍ واحدٍ استطاع أن يحلَّ لغز الجريح الهارب … والجاسوس المجهول. ولكن إذا كان الرجل الجريح موجودًا في الغرفة … وسمع وشاهد محاولة فتح الباب، فسوف يُخبر «مايزر» بالطبع … وتكون كارثة!

ماذا يفعل بالضبط؟!

وشمَّ رائحة الطعام تتصاعد … وقفز على الفور … لقد خشي أن يحترق الطعام … ورفع غطاء حلة الطعام … وتصاعدت رائحة البطاطس واللحم، وأحسَّ «تختخ» برغم الموقف أن ريقه يجري … فهو يُحب الطعام، وهو جائع … وملأ طبقًا بالبطاطس، وأخذ يلتهمه سعيدًا … لقد وصل إلى استنتاجات مهمَّة … ولم يبقَ إلا أن يستخدمها جيدًا ليصل إلى حلٍّ لغزٍ من أهم الألغاز التي اشترك فيها.

قرَّر «تختخ» بعد أن ملأ بطنه بالطعام … أن يتصرَّف بشكل طبيعي جدًّا … فخرج من المطبخ وهو يُصفِّر في هدوء … كأي شخص يُؤدِّي واجبه، ومشى أمام الغرفة، وأخذ

ينظر إلى بابها، وتجاوزها ببضعة أمتار، ثم خلع حذاءه بهدوء شديد ... وعاد على أطراف أصابعه، ووقف أمام الباب ووضع أذنه عند مكان المفتاح، وأخذ يُنصت باهتمامٍ شديدٍ وبتركيز ... ولكنه لم يسمع شيئًا مطلقًا، ومدَّ يده ليُدير مقبض الباب، ولكنه تردَّد.

وبعد لحظات قرَّر ألَّا يفعل هذا؛ إن أي خطأ يقع فيه سوف يُنهي مغامرته بفشل ذريع.

وعاد إلى حذائه يلبسه ... ودخل إلى المطبخ مرةً أخرى، وأخذ يُنظِّف الآنية والأطباق حتى انتهى من كل شيء ... ثم أعدَّ لنفسه كوبًا من الشاي، وخرج من الفيلا إلى الحديقة، واختار كرسيًّا قريبًا من الباب، ثم جلس ... وأخذ يشرب الشاي باستمتاع، وهو يتأمَّل سور الفيلا الضخم، إنه يُشبه أسوار القلاع بضخامته غير العادية ... وقد التفَّت حوله أغصان الأشجار العجوزة، فبدا المشهد كله ... كأنه عالم بعيد وليس في «المعادي» ...

واستمرَّ «تختخ» في جلسته، وقد بدأت سلسلة الاستنتاجات تترابط ... وسرعان ما وصل إلى قرار هام ... أن يُحاول الحصول على سلسلة مفاتيح «مايزر» ... إنه بالطبع لا يستطيع أن يستبقيها عنده أكثر من لحظات قليلة ... وهو لا يحتاج إلا لهذه اللحظات ... فيقوم برسم كلِّ مفتاح على ورقة، ويطلب من المفتش «سامي»، أن يُعِد له مجموعةً من المفاتيح ... سيكون بالتأكيد بينها مفتاح الغرفة ... وبعد أن يدرس كلَّ احتمال، يُغامر بفتحها.

لم يكَد «تختخ» ينتهي من كوب الشاي ... حتى سمع صوت سيارة «مايزر» «المرسيدس» ... وهي تدور حول الفيلا ثم تدخل ... وقام «تختخ» مسرعًا فدخل إلى الفيلا ... وبعد لحظات كان «مايزر»، يفتح الباب بمفتاحه الخاص ويدخل ... وبخطواته غير المسموعة أحسَّ به «تختخ» وهو يقف على باب المطبخ ويقول «هالُّو».

استدار «تختخ» وقال: مرحبًا يا سيد «مايزر» ... هل تتغدَّى؟

مايزر: بعد ربع ساعة بالضبط!

تختخ: سيكون كل شيء مُعدًّا!

واختفى «مايزر» ... وأخذ «تختخ» يُعِد الأطباق ويضع الطعام وهو يستعين بكلِّ ما يذكره عن والدته، من أناقة في تقديم الطعام ... وأسرع يجمع بعض الزهور من الحديقة، ونسَّقها بسرعةٍ في زهرية بيضاء وضعها على المائدة ... وبعد ربع ساعة بالضبط كان «مايزر» ينزل السلَّم الرخامي الداخلي، ويتجه إلى قاعة الطعام ... ووقف «تختخ» جانبًا، وسمع «مايزر» وهو يُصفِّر في سعادةٍ قائلًا: إنكَ ولد شديد المهارة ... منذ مدة طويلة ... لم أُشاهد مائدةً بهذا الجمال ... أرجو أن يكون الطعام لذيذًا.

تختخ: أرجو ذلك يا سيدي.

جلس «مايزر» إلى المائدة، وأخذ يتذوَّق الطعام بسرعة، ثم صاح: هائل!

وانسحب «تختخ» وهو يشعر بالسعادة … لقد أدَّى دوره جيدًا … وسوف يكون في إمكانه الاستمرار في العمل فترةً أخرى.

جلس «تختخ» في المطبخ، وأخذ يُفكِّر كيف سيستولي على سلسلة مفاتيح «مايزر» … هل يصعد إلى الطابق العلوي الآن؟ إن «مايزر» سينتهي من طعامه في دقائق … وقد يصعد إلى فوق فجأة … ليترك هذا إذن إلى وقت مناسب.

انتهى «مايزر» من طعامه في نحو نصف ساعة … ثم استدعى «تختخ» وقال له: سوف أنام بعض الوقت … أرجو ألَّا يوقظني أحد قبل الخامسة … وسكت لحظات، ثم قال: إنني سوف أزيد مرتبك إلى عشرين جنيهًا شهريًّا … فأنت طبَّاخ ماهر فعلًا.

شكَره «تختخ» ونظر إلى مائدة الطعام … ومرةً أخرى لاحظ الملاحظةَ نفسها التي سبق أن أحسَّ بها بعد إفطار «مايزر» … إن هناك شيئًا غير طبيعي في هذا الرجل … ولكن ما هو؟

أخذ يرفع الأطباق … ثم غسلها … ونظر إلى ساعته … كانت تُشير إلى الثالثة، معنى هذا أن أمامه ساعتَين يقضيهما بلا عمل … فماذا يفعل؟ شيء ما دفعه لأن يخرج مرةً أخرى إلى الحديقة … وأخذ يتمشَّى فيها وهو يتطلَّع إلى الأرض مفكِّرًا … وفجأةً أحسَّ أن هناك من يُراقبه … وتوقَّف لحظات، ثم استمرَّ في السير؛ حتى لا يشعر من يُراقبه أنه عرف … وأخذ يُفكِّر فيمن يُراقبه … من أين؟

كانت الفيلا ملتصقةً بالسور … فاضطُر للعودة، واتجه إلى ناحية بعيدة من الفيلا، وتظاهر أنه يتطلَّع إلى الأشجار … ورمق نوافذ غرفة «مايزر» بلمحةٍ سريعة، وخُيِّل إليه أنه يرى شبحًا خلف الستائر … إنه «مايزر» … إذن فهذا الرجل الطويل هو في الأغلب الجاسوس … ولإبعاد أي شكٍّ فيما يفعل في الحديقة، أخذ يقطف بعض الزهور … ويُزيل بعض الأوراق اليابسة … واستمرَّ في عمله فترةً طويلة، ثم جمع الزهور ودخل إلى الفيلا … غسل يدَيه ووجهه … ونظر في المرآة ليطمئن على تنكُّره …

جلس في كرسيه واستغرق في التفكير … حتى إذا أشرفت الساعة على الخامسة، قام واتجه إلى غرفة «مايزر»، ودقَّ الباب مرتَين … وسمع «مايزر» بعد أن استيقظ يطلب إعداد فنجانٍ من القهوة.

نزل «تختخ» إلى المطبخ وقام بإعداد القهوة، وهمَّ بالصعود إلى الطابق الثاني، فوجد «مايزر» يهبط السلَّم … وسمعه يقول له: إنكَ تُحب الزهور.

ردَّ «تختخ»: نعم يا سيدي.

مايزر: إنني أيضًا أحبها؛ لهذا لا أستأجر بستانيًّا للعناية بالحديقة، وأقوم بالعناية بها في أيام إجازتي ... أليس هذا شيئًا مسليًا؟

تختخ: بالطبع يا سيدي.

مايزر: بالمناسبة ... متى تأخذ إجازتك؟

تختخ: ليس من المهم عندي أخذ أي إجازة.

مايزر: لا ... لا بد أن تحصل على إجازة ... وستكون يوم الأحد؛ لأنني أيضًا آخذ إجازتي في هذا اليوم ... وكل ما أرجوه منكَ أن تُعد لي كميةً كبيرةً من الطعام، تكفي في أثناء غيبتك.

دخل «مايزر» إلى الصالون ... حيث تناول القهوة، وتحدَّث تليفونيًّا، ثم غادر المنزل.

كان اليوم هو يوم الجمعة، ومعنى ذلك أن إجازة «تختخ» ستكون بعد غد ... وعليه أن يُحاول الحصول على سلسلة المفاتيح اليوم أو غدًا ... فالوقت يمضي سريعًا، وكلما مرَّ الوقت تضاءلت فرصة العثور على الجريح الهارب ... وقرَّر أن يقوم بتفتيش الفيلا مرةً أخرى.

صعد إلى الطابق الثاني ... ومرةً أخرى قسَّم الغرف، وأخذ ينظر في كل غرفة جيدًا، قبل أن يقوم بالتفتيش ... حتى يُعيد كلَّ شيء إلى مكانه، دون أن يُحس «مايزر» ...

وانتهى من تفتيش الغرف دون أن يعثر على شيء ... ولم يبقَ سوى الحمَّام ... وفكَّر ألَّا داعي لتفتيشه ... ولكن حاسة المغامر فيه دفعته إلى الدخول ... كان الحمام كأي حمام آخر ... وأدوات «مايزر» كالمشط، وماكينة الحلاقة، والفرشاة، ومعجون الأسنان، والكولونيا ... كلها عادية ... ولكن ثمة شيء جديد لفت نظر «تختخ» إلى هذه الأدوات العادية ... شيء لم يرَه من قبلُ عندما قام بالتفتيش في المرة السابقة.

كانت علبة صغيرة ... تُرِكت مفتوحةً دليلًا أن «مايزر» قد نسي أن يُغلقها، ويضعها بعيدًا عن الحوض ... وأخذ «تختخ» يتأمَّل العلبة دون أن يمد يده ... كانت علبةً زرقاء مستديرة ... وبها نوع من الكريم أصفر اللون ... فهل يعني هذا أي شيء؟

لم يكن بالطبع يعني شيئًا ... وأمسك «تختخ» بغطاء العلبة وأخذ يقرأ ما عليه ... ولكنه كان باللغة الألمانية التي لا يعرف عنها شيئًا، وفكَّر لحظات، وأسرع يُحضر ورقةً وقلمًا، ثم نقل الكلمات المكتوبة على العلبة ... ثم ترك الغطاء مكانه بالضبط ... وأسرع ينزل إلى الطابق الأول.

أمسك بسمَّاعة التليفون واتصل بالمفتش «سامي»، وردَّ المفتش على الفور سائلًا: هل هناك جديد؟

تختخ: للأسف ... ليس هناك أي جديد ... ولكن ...

وصمت «تختخ» لحظات، فقال المفتش يستحثه: ولكن ماذا؟

تختخ: ولكن أُحسُّ بشيء ما ... أُحِسُّ أن «مايزر» هو رجلنا.

قال المفتش: إنني أثق في إحساسك كمغامر ... ولكن أليست هناك أية وقائع؟

تختخ: لا وقائع ... ولا حتى استنتاجات مؤكَّدة ... إنني أُريد خدمة.

المفتش: ما هي؟

تختخ: بضع كلمات باللغة الألمانية، أُريد أن أُترجمها.

المفتش: قلها لي ... وستحصل على الترجمة فورًا.

وأملى «تختخ» الكلمات الألمانية على المفتش الذي قال: اتصل بي بعد عشر دقائق فقط.

ووضع «تختخ» السمَّاعة وجلس مُفكِّرًا، ما معنى اهتمامه بعلبة صغيرة، بها كريم ربما للبشرة أو الشعر، أو مرهم للجلد؟ ... ما معنى هذا؟! إنه بدأ يخرف ... وكانت عيناه على عقرب الدقائق، حتى إذا أتمَّ عشر لفَّات رفع سمَّاعة التليفون، وطلب المفتش الذي قال له: مكتوب على العلبة ... مرهم خاص بالعين ... من إنتاج شركة «باير» في ألمانيا، هذا كل ما هنالك.

سكت للحظات لا يرد ... كانت الكلمات تدور في ذهنه كالبرق ... خاص بالعين ... بالعين ... العين ...

وشكر المفتش ووضع السمَّاعة، وما زالت الكلمة تدور في رأسه ... العين ... العين ...

سلسلة المفاتيح ...

اتصل «تختخ» بـ «محب» تليفونيًّا ... كان يُحس بالضيق ويُريد أن يُنفِّس عمَّا بصدره ... وردَّ «محب» متلهِّفًا: هل من جديد؟ هل نقوم الليلة بالمراقبة؟

تختخ: لا ... ولكن اسمع يا «محب» ... إنني أُحس أنني مقدم على مغامرة رهيبة ... وأحتاج إلى أن تُتابعني ... إن مواعيد الرجل الذي أعمل عنده، من السابعة صباحًا ... وهو يخرج حوالي السابعة والنصف، ويعود في الثالثة، ثم يخرج في الخامسة ويتأخَّر بعد ذلك في العودة ... فأرجو أن تدق لي التليفون كل يوم، في هذه المواعيد التي يكون «مايزر» فيها خارج المنزل ... فإذا لم أردَّ عليك في أية مرة ... فلا بد أن شيئًا سيئًا قد حدث لي ...

محب: لِمَ تقول هذا الكلام؟! هل تُحس بالخوف من شيء؟

تختخ: لا شيء ... إنه فقط مرهم للعين.

محب: ماذا تقول؟

تختخ: آسف ... إن الكلمات خرجت بالرغم عني ...

محب: مرهم للعين؟! ...

تختخ: نعم ... إن لهذا دلالةً كبيرة ... وربما لا تكون له دلالة على الإطلاق.

محب: إنك اليوم في منتهى الغموض.

تختخ: لأن القضية في منتهى الغموض أيضًا.

محب: ألَا نستطيع أن نُساعدك في شيء؟

تختخ: لا ... شكرًا ... شكرًا ... فقط اتصل بي في المواعيد التي قلتُ لكَ عنها ... ولا تنسَ ذلك.

محب: هذه مسألة مُهمَّة.

تختخ: وكيف حال «عاطف» و«نوسة» و«لوزة»؟

محب: كلنا على ما يرام ... ولكن «لوزة» متضايقة جدًّا لأنك تعمل وحدك ... إنها تُريد أن تشاركك.

تختخ: قد أحتاج إليها قريبًا ... إلى اللقاء.

وضع «تختخ» السمَّاعة ... ثم نزل إلى المطبخ ... كان المساء قد هبط ... فأضاء النور، وأخذ يُعِد بعض الطعام على حسب اتفاقه مع «مايزر» ليوم إجازته ... يوم الأحد ... ومرَّ الوقت سريعًا، وأشرفَت الساعة على التاسعة والنصف ... وكان قد انتهى من عمله، فوضع الطعام على المائدة حتى يبرد، ثم يضعه في الثلاجة ... ودخل الحمَّام فاغتسل، وبعد ساعة كان كلُّ شيء في مكانه ... الطعام في الثلاجة ... وعشاء «مايزر» الخفيف في غرفة المائدة، وأوى «تختخ» إلى فراشه متعبًا، وما تزال الكلمات التي وجدها على العلبة الصغيرة، في حمَّام «مايزر» ترن في أذنه ...

هبَّت الريح قويةً تلك الليلة ... وأخذَت تعبث بالأشجار والنوافذ ... ولأن الفيلا كانت قديمةً جدًّا ... فقد استطاعت الرياح أن تهز كلَّ شيء فيها ... حتى خُيِّل لـ «تختخ» وهو على وشك النوم أن الفيلا سوف تسقط، ولكنه استغرق في النوم ... فقد تغلَّب تعبه على خوفه ...

لا يدري «تختخ» كم فترةً من الوقت قضاها نائمًا ... ولكنه كعادته استيقظ في الوقت المناسب، وبرغم ضآلة الصوت ... أدرك أن ثمَّة أقدامًا تمشي في الممرِّ أمام غرفته ... استيقظ فورًا ... وتنبَّهت حواسُّه كلها، وأصغى السمع لحظات، ثم قام من فراشه بهدوء، وأسرع إلى الباب ووضع أذنه على فتحة المفتاح، كان من المؤكَّد أن ثمَّة شخصًا يفتح باب الغرفة المواجهة لغرفته مباشرة ... سمع الباب القديم يُفتَح ... ثم يُغلَق بعد لحظات ... وعلى الفور خرج من غرفته محاذرًا، وعلى ضوء الممرِّ الخافت لاحظ سلسلة مفاتيح في الباب، ما زالت تهتز ... ولم يشكَّ لحظةً أنها سلسلة مفاتيح «مايزر»؛ فقد شاهدها من قبل.

دقَّ قلب «تختخ» سريعًا ... لقد وقع على أول دليل ملموس، للحياة السرية التي يعيشها «مايزر» ... فالغرفة المغلقة إذن فيها سر ... وخلف هذا الباب تقع أحداث غامضة، فماذا يفعل؟

كالعادة ... دارت الأحداث في ذهنه سريعًا ... وأخذت القرارات تتضارب ... هل يفتح الباب ويرى؟ ... من المؤكَّد أن هذا سيكون أكبر خطأ ارتكبه في حياته ... فلا شكَّ أن «مايزر» أقوى منه، وفي إمكانه التغلُّب عليه ... وقد يكون مع «مايزر» آخرون، يمكن أن يشتركوا في القضاء عليه في لحظات.

هل يتصل بالمفتش «سامي» … إن الوصول إلى التليفون يستغرق وقتًا، والساعة الآن نحو الثانية صباحًا، والمفتش نائم … وحتى يوقظه، ويقوم المفتش بالاتصال برجاله، ووصوله إلى الفيلا، يكون «مايزر» قد أفلت … هل يُغلِق الباب بالمفتاح على «مايزر» في الغرفة؟ … إن ذلك سيلفت نظر «مايزر»، ويستطيع هو ومن معه كسر الباب والهرب … الحل … أين الحل؟!

ووجد الحل … مدَّ يده بهدوء شديد وسحب المفتاح من الباب، وفي خطوات قليلة كان في غرفته، وأخرج دفتر مذكراته وقلمه … ووضع المفتاح على الصفحة البيضاء، ودار حوله بالقلم … وحصل بهذا على المقاسات الدقيقة للمفتاح، ثم فعل الشيء نفسه لبقية المفاتيح … وعاد مسرعًا إلى الممر ونظر … كان كل شيء على ما يرام، وأسرع يدس المفتاح مكانه، ثم يعود إلى غرفته ويُغلق الباب عليه ويتمدَّد.

ظلَّ متمدِّدًا في فراشه طويلًا … ينظر إلى ساعته بين لحظةٍ وأخرى، ومرَّت ساعة من غير أن يخرج «مايزر» من الغرفة السرية، وأخرج «تختخ» نماذج المفاتيح التي رسمها، وأخذ على ضوء مصباحه الصغير يتأمَّلها … كانت هذه مفاتيح … مفتاحان للسيارة … مفتاح لباب الفيلا، مفتاح صغير رقيق، مفتاح كبير من النوع القديم، ومفتاح الغرفة …

كان يُفكِّر في المفتاح القديم … والمفتاح الصغير الرقيق، ما هي مهمتهما في حياة «مايزر»؟ وهل يُخفي كلٌّ منهما سرًّا، كمفتاح باب الغرفة؟ هذا ما ستكشف عنه الأيام … ظلَّ مستيقظًا حتى الرابعة والنصف، ثم عاود النوم …

تختخ والشاويش «فرقع»

استيقظ «تختخ» في صباح اليوم التالي ... في السادسة كعادته ... وقام بواجباته في الفيلا ... واستيقظ «مايزر» في موعده ... وبرغم محاولته التظاهر بالنشاط والمرح، فإنه بدا متعبًا ... من أثر سهرته الطويلة في الغرفة المغلقة. وتناول إفطاره مسرعًا، ثم غادر الفيلا ...

جلس «تختخ» يتناول إفطاره وهو مستغرق في خواطره ... ومضت نحو ساعةٍ بعد أن شرب الشاي، وهو جالس في مكانه ...

وفجأةً دقَّ جرس التليفون ... وكان «محب» هو المتحدِّث على حسب اتفاقهما، وقال «تختخ»: اسمع يا «محب»، قابِلني بعد ساعة بالضبط في سوق الخضار.

محب: أين بالضبط؟

تختخ: عند الست «أم سيد» التي تجلس في بداية السوق، هناك شيء هام أُريد أن تتولَّاه.

ووضع السمَّاعة وفكَّر ... هل يعتمد على «محب» في إعداد المفاتيح المصطنعة أو يُرسلها للمفتش «سامي»؟

وقرَّر أن يُرسل نماذج المفاتيح مع «محب» للمفتش «سامي» ... وأخذ النماذج معه وأعاد النظر في تنكُّره، ثم حمل سلَّة الخضار وخرج. مشى هادئًا حول سور الفيلا يتأمَّله، وفي ذهنه عشرات من الخواطر، لماذا اختار «مايزر» هذه الفيلا القديمة؟ ولماذا السور الضخم الذي يُشبه سور قلعة حصينة؟ وماذا تُخفي الغرفة المغلقة من أسرار؟ وقبل كلِّ هذا كيف يتمكَّن «مايزر» من تصوير الرسومات السرية؟ وأين الرجل الجريح؟ عشرات الأسئلة مثل هذه كانت تخطر على بال «تختخ» وهو يمشي في طريقه إلى السوق، وقد استغرق في خواطره تمامًا، حتى إنه لم يلتفت إلى شيء، ويصطدم به ... فيوقعه أرضًا،

ويُطيح بالسلَّة إلى الشارع ... ورفع «تختخ» عينَيه وهو واقع على ظهره، ينظر إلى راكب الدرَّاجة ... ولكي تكتمل دهشته ... وجد الشاويش «فرقع» ينظر إليه بحدة.

تجمَّع الناس حول «تختخ» والشاويش ... وبرغم أن «تختخ» كان غاضبًا، ويُريد أن يُرسل بعض قذائفه الكلامية إلى الشاويش، إلا أن المهمَّة التي يقوم بها جعلته ينظر إليه في سخط دون أن ينطق بكلمة.

قام أحد الواقفين بالإمساك بالسلَّة ... وتقدَّم آخر يُساعد «تختخ» على النهوض، في حين كان بعض المارة يتحدَّثون عن الحادث قائلين: الحمد لله ... بسيطة ... لم يُصَب أحد بسوء.

صاح الشاويش فجأة: إنني أعرف هذا الولد!

سقط قلب «تختخ» بين ضلوعه، إنه لا يُريد أن يُعطِّله شيء عن مُهمَّته، وإذا لم يذهب للقاء «محب»؛ فسوف ترتبك خطته، فقال بصوتٍ مغاير لصوته: تعرفني أنا؟! قال الشاويش وهو يتقدَّم منه: نعم ... إنني أعرفك ... وأنتَ الذي قصدتَ أن تقف أمامي حتى تُعطِّلني عن عملي!

تختخ: هل تظن يا حضرة الشاويش أنني أُعرِّض نفسي للموت أو للإصابات ... لمجرَّد أني أُريد أن أُعطِّلك عن عملك الذي لا أعرف عنه شيئًا!

أمسك الشاويش بشاربه، وأخذ يبرمه وهو مستغرق في التفكير ... يُغمغم بين لحظةٍ وأخرى ... نعم ... نعم ... إنني رأيتُك من قبل، ولكن لا أذكر أين ... إن وجهك ليس غريبًا عني ... إنني ...

أدرك «تختخ» أنه في مأزق ... فلو عرفه الشاويش ما تركه، وسوف يسأله لماذا هو متنكِّر، وسيظن أنه مشترك في مغامرة، وسيتبعه ... وستُصبح المسألة كارثةً محقَّقة، خاصةً أن إجازته غدًا ... وسوف ينفصل عن المغامرة، وقد يعود إلى الفيلا يوم الإثنين، فلا يجد «مايزر» ويخسر كلَّ شيء.

كان يُفكِّر في سرعة وهو يُحاول أن يتحرَّك ... ولكن الشاويش مدَّ يده يستوقفه وهو يقول: قد تكون من بين المشتبه فيهم، لا بد أن تأتي معي إلى القسم!

أحسَّ «تختخ» بالدنيا تدور حوله ... القسم ... القسم ... معناه أن موعده مع «محب» سيمر، وأن «محب» سيتصل به في الفيلا فلا يجده، ويُخبر المفتش «سامي»، وتنقلب الدنيا ويخسر كلَّ ما فعل ... وإذا شرح المسألة للشاويش، فسوف يُقيم الشاويش الدنيا ويُقعدها؛ لأن الأولاد — كما اعتاد أن يُسمِّي المغامرين الخمسة — يُعطِّلون سير العدالة ... وفي حين هو في هذه الدُّوامة الرهيبة، شاهد وجهًا صغيرًا يُطل من بين الواقفين، وتلاشى خوفه ... وابتسم.

عندما تظهر «لوزة»

لم يكن الوجه الصغير إلا وجه «لوزة» ... وعندما شاهدها «تختخ» وهو يُنظِّف ملابسه، ابتسم ... فقد أدرك أنه قد تمَّ إنقاذه من براثن الشاويش.

وقالت «لوزة» موجِّهةً حديثها إلى الشاويش «فرقع»: إنني أعرف هذا الولد يا حضرة الشاويش ... أعرفه جيدًا ...

نظر إليها الشاويش بارتياب شديد وقال: ما دخلك أنتِ في هذا الموضوع؟!

ردَّت «لوزة» بثبات: لقد سمعتُ صوتك وأنت تتحدَّث إليه، وتقول إنك تعرفه ... فدخلت بين الواقفين، ونظرت إلى من تتحدَّث وعرفته على الفور.

الشاويش: من هو؟

لوزة: إنه «عبد التواب» الذي يعمل عند السيدة «ليلى» جارتنا.

عاد الشاويش يبرم شاربه في ارتياب وقال: «عبد التواب» ... «عبد التواب» ... إنني لا أعرف السيدة «ليلى» التي تتحدَّثين عنها!

لوزة: «ليلى» زوجة الأستاذ «خالد» ... ألَا تعرفه؟!

ثار الشاويش فجأةً وقال: ما لكِ أنتِ وما لي؟! ... لا تتدخَّلي في عملي ... سآخذه إلى القسم وسأتحرَّى عنه!

قال «تختخ» بصوته المزيَّف: ليس لكَ الحق في ذلك ... أنتَ الذي أخطأت، وسأجعل الأستاذ «خالد» يشكوك إلى رؤسائك!

زادت ثورة الشاويش واحمرَّ وجهه، وارتعش شاربه ... وقال: أنت تشكوني أيها الصعلوك الصغير؟! ... إنني سأضعك في السجن!

تختخ: لا أحد يدخل السجن بدون تهمة ... وأنا لم أفعل شيئًا.

الشاويش: فعلتَ أو لم تفعل ... ستأتي معي إلى القسم ... فإذا اتضح أنكَ لم تفعل شيئًا حقًّا كما تقول؛ أفرجت عنك!

تختخ: ووقتي الذي سيضيع؟

قال الشاويش وهو في غاية الغضب: وقتك! ... هل أنت مهم إلى هذا الحد؟ هل تظن نفسك مدير الأمن العام؟

تدخَّلت «لوزة» في الحدي، وقالت: ونقوده التي ضاعت؟! ...

أدرك «تختخ» أن «لوزة» تُدبِّر خطةً فقال: نعم ... نقودي ... نقودي ... سوف تتهمني السيدة «ليلى» ... بأنني أضعتها ... أو سرقتها ... أين نقودي؟

وفي هذه اللحظة ظهرت «نوسة» ثم «عاطف»، ورقص قلب «تختخ» طربًا ... إن المغامرين حوله ... وسوف يُخرجونه فورًا من هذا المأزق المخيف.

قال «عاطف»: لقد شاهدتُ نقودًا معدِنية تقع على الأرض!

صاح الشاويش: أنت ... أنت أيضًا ... كيف شاهدت ذلك وأنت لم تحضر إلا الآن؟

عاطف: إنني كنتُ أقف على الرصيف عندما صدمتَ هذا الولد الغلبان بدرَّاجتك ... إنني أشهد أنكَ أنتَ المخطئ.

كانت ثورة الشاويش قد بلغت قمتها ... وزاغت عيناه، وهو يُمسك بدرَّاجته التي التوى إطارها الأمامي ... في حين قالت «نوسة»: لنبحث عن النقود!

وانحنى جميع الواقفين يبحثون عن النقود ... وبينهم انحنى «تختخ» أيضًا ... ثم أخذت الدائرة تتسع ... وصاح أحد الباحثين: وجدت هذه القطعة!

كانت قطعةً من ذات العشرة القروش ... وابتسم «تختخ»؛ فقد أدرك أن أحد المغامرين هو الذي ألقاها ...

وصاح آخر: قطعة أخرى!

وقال أحد الرجال: إنكَ ظلمتَ هذا الولد أيها الشاويش.

وخلفه تصايح الواقفون: لقد أوقعتَه أرضًا! لقد أضعت نقوده! لقد جرحته! ... لقد عطَّلته عن عمله! ...

أخذَت الصيحات تُحيط بالشاويش، الذي انقلب من الثورة إلى الذعر، أمام هذا الهجوم غير المتوقَّع ... وفي هذه اللحظات الحاسمة ... كان «تختخ» يتسلَّل بهدوء متظاهرًا بالبحث عن النقود خارج دائرة الواقفين ... ثم مضى سريعًا حتى إذا غادر المكان بمسافة كافية، أطلق ساقيه للريح.

وصل «تختخ» إلى سوق الخضار في الوقت المناسب ... ووجد «محب» يقف عند بائعة الخضار العجوز، وهو يتلفَّت حوله قلقًا ... وعندها شاهد «تختخ» ابتسم ... ولكن لم يتقدَّم منه ... وتلفَّت «تختخ» حوله ... وتأكَّد أن لا أحد يتبعه، ثم تقدَّم من «محب» ومدَّ يده في جيبه، وأخرج الورقة وأعطاها لـ «محب» وهمس: خُذ هذه الورقة واذهب بها الآن إلى المفتش «سامي»، إنها نماذج مرسومة لمجموعةٍ من المفاتيح ... أُريده أن يقوم بعمل نُسَخٍ مقلَّدة ومتقنة، ويُعيدها لكَ ... واطلب منه أن يشتري لي مبردًا صغيرًا.

محب: مبرد؟!

تختخ: نعم مبرد ... سأحتاج إليه ... واتصل بي تليفونيًّا إذا حصلتَ عليها اليوم ... فإذا ردَّ «مايزر» فقل: إنكَ طلبتَ رقمًا خاطئًا ... وسأكون في إجازة غدًا فأحضرها لي بمنزلي.

وأسرع «محب» مبتعدًا ... وأخذ «تختخ» في شراء اللوازم التي يُريدها ... وهو يبتسم كلَّما فكَّر فيما حدث بينه وبين الشاويش «علي»، حتى إذا انتهى من شراء كل شيء، اتخذ طريقه عائدًا إلى الفيلا ... وقصد أن يمر قريبًا من المكان الذي اصطدم هو والشاويش «علي» ... فيه، فلم يجِد أحدًا ... وكانت حركة المرور في الشارع عادية، فعرف أن المغامرين قد استطاعوا التخلُّص من الشاويش، وأخذ يهز جيبه وبه النقود المعدِنية التي جمعها الواقفون، وقد كان متأكِّدًا أن «لوزة» و«عاطف» و«نوسة»، هم الذين قاموا بإلقائها.

عاد إلى الفيلا مرهقًا ... كانت السقطة التي سقطها على أرض الشارع، قد بدأت تؤلمه في أماكن كثيرة من جسمه، فقرَّر أن يأخذ حمَّامًا ... ولكن بعد أن دخل الحمَّام، تذكَّر التنكُّر ... وأنه لن يستطيع إعادته؛ فأدوات التنكُّر في منزله، وهكذا غادر الحمَّام آسفًا ... واكتفى بغسل يدَيه وقدمَيه، ثم تمدَّد على الفراش ليرتاح.

في موعد الغداء بالضبط حضر «مايزر»، وتناول طعامه بسرعة ... دون كلمة واحدة، ثم صعد إلى غرفته وطلب من «تختخ» أن يوقظه في السادسة مساءً ... وعندما بدأ يصعد السلَّم، دقَّ جرس التليفون ... وبدت الدهشة لحظات على وجه «مايزر»، ودقَّ قلب «تختخ» بعنف، وأسرع «تختخ» للرد على التليفون؛ فقد كان أقرب ... ولكن «مايزر» أشار له أن يتوقَّف، وأسرع هو إلى سمَّاعة التليفون، فاستمع لحظات، ثم وضع السمَّاعة، ونظر إلى «تختخ» بطرف عينه، وخُيِّل لـ «تختخ» أنه ينظر إليه بريبة.

في الموعد المحدَّد أيقظ «تختخ» «مايزر»، الذي كان في حالةٍ نفسية حسنة، فأخذ يُبدي إعجابه بنشاط «تختخ»، وأسلوبه في إدارة العمل في الفيلا ... ثم وضع يده في جيبه، وقال: خذ هذا المبلغ، وعد الآن إلى منزلك.

تختخ: ولكن إجازتي غدًا يا سيدي!

أفلتت الجملة من فم «تختخ»، وأدرك أنه أخطأ ... فليس من المعقول أن يرفض إجازةً إضافية ... وأحسَّ مرةً أُخرى أن «مايزر» يرمقه بارتياب، فأسرع يقول: شكرًا لكَ يا سيدي ... المسألة أنني لم أنتهِ بعد من إعداد طعام الغد ... وأنوي أن أنتهي منه الليلة.

كان تبريرًا معقولًا ... فقال «مايزر»: لا بأس، انتهِ من عملك وغادر الفيلا إلى منزلك ... ولا تنسَ أن تُغلق الأبواب والنوافذ جيدًا.

انصرف «مايزر» ... وأسرع «تختخ» إلى التليفون، وطلب «محب» الذي ردَّ عليه فورًا، قال «تختخ»: أنتَ الذي طلبتَ منذ دقائق؟

محب: نعم ... وقد ردَّ الرجل الذي تعمل عنده.

تختخ: كنتُ سأرد أنا ولكنه أسرع هو بالرد ... وقد أثار ذلك ريبته ... ماذا فعلت؟

محب: ذهبت ... قابلتُ المفتش «سامي»، الذي قال إنه سينتهي من عمل المفاتيح اليوم ... ولكن عندما علم أنكَ ستكون في إجازة غدًا، فضَّل أن يأتي بالمفاتيح بنفسه. ...

تختخ: لماذا؟! ... إن هذا سيُعطِّلني ... ولو كانت المفاتيح معي الآن ... لفتحتُ الغرفة المغلقة، وعلمتُ ماذا يدور خلف بابها!

محب: قال لي المفتش «سامي» إنه لا يستطيع أن يتركك تواجه الخطر وحدك ... إنه يُفضِّل أن يسمع منكَ كلَّ شيء ... وأن يضع معك تقديرًا للموقف.

أحسَّ «تختخ» بضيقٍ مفاجئ ... فهو يخشى من هذه الإجازة المفاجئة، التي أعطاها له «مايزر» ... ربما شكَّ فيه الرجل وقرَّر أن يرحل الليلة أو غدًا ... فإذا ما ذهب يوم الإثنين وجد العصفور قد طار! ...

فقال لـ «محب»: لا بأس ... سأتصل بالمفتش «سامي» الآن.

محب: أرجو أن تتصل بي مرةً أخرى.

تختخ: بالتأكيد.

وضع السمَّاعة، ثم رفعها وجلس لحظات يُفكِّر ... الحل الأفضل بالتأكيد أن يتصل بالمفتش «سامي» ... ورفع سمَّاعة التليفون وطلب المفتش، ولكنه للأسف لم يجده ... وألحَّ في أن يعرف مكانه، ولكن من ردَّ عليه ... أكَّد له أن المفتش في مهمَّة سرية، لا أحد يعرف إلى أين.

وضع «تختخ» السمَّاعة يائسًا ... وقرَّر أن يتصرَّف فورًا، وفي أثناء إغلاقه النوافذ، خطر له أن يترك إحدى النوافذ مغلقةً دون مزلاج ... بحيث إذا أراد فتحها من الخارج

دفعها بيده ... واختار نافذةً في الطابق الأرضي، تُغطِّيها شجرة عجوز من أشجار الحديقة، وأغلقها دون أن يضع خلفها المزلاج ...

وأعجبته الفكرة، وأعادت إليه قدرًا من الحماس.

غادر «تختخ» الفيلا في نحو الساعة السابعة والنصف، وأسرع إلى منزله، لم يكد يدخل حتى أخذ بعض الثياب النظيفة، وأسرع إلى الحمَّام ... واستلقى في الماء الدافئ.

استراح تمامًا بعد أن أخذ حمَّامه ... وخرج منه إلى الفراش، ورفع سمَّاعة التليفون وطلب «محب» وقال له: «محب» تعالَ الآن ... أظنك تُحب أن تسمع القصة كاملة.

محب: طبعًا.

تختخ: لا بد أن تعرف كل شيء ... فلا أحد يدري ماذا يحدث غدًا ... أو حتى هذا المساء ... ولا بد أن يوجد من يعرف كلَّ ما رأيتُه وفكَّرتُ فيه ...

عندما تُصبح المغامرة ... خطأ

جلس الصديقان «تختخ» و«محب»، وأخذ «تختخ» يروي لصديقه القصة كاملة ... كيف كلَّفه المفتش «سامي» بالمهمَّة ... كيف تنكَّر وعمل عند «مايزر» ... كيف استطاع مراقبة كلِّ ما يدور حوله ... انطباعه الغريب في أسلوب «مايزر»؛ في الأكل ... وأحيانًا في المشي.

واستمع «محب» بانتباه شديد لتفاصيل محاولة «تختخ» الحصول على سلسلة مفاتيح «مايزر» والنافذة التي تركها مفتوحة ... ثم خوفه من أن يكون «مايزر» قد شكَّ فيه ... وأنه قد يهرب في أية لحظة. ثم اختتم «تختخ» حديثه سائلًا «محب»: ما رأيكَ في هذا كله؟

ردَّ «محب»: الحقيقة أن الموقف خطير جدًّا ... وقد يكون أي خطأ فيه نهاية لكل هذه المغامرة المثيرة ... لهذا فإنني أُفضِّل أن ننتظر وصول المفتش غدًا، ونترك له حرية القرار. إنه الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يُقرِّر!

ساد الصمت بين المغامرَين ... وانعزل كلٌّ منهما عن الآخر، كأنهما يجلسان في غرفتَين منفصلتَين؛ فقد كان القرار صعبًا حقًّا ... وفجأةً قطع «تختخ» حبلَ الصمت قائلًا: ما رأيكَ لو ذهبنا معًا ليلًا، ودخلنا من النافذة المفتوحة؟

إنني متأكِّد أن «مايزر» سيفعل شيئًا الليلة ... وإلا ما فكَّر في إبعادي.

محب: إنكَ في محاولة إنجاز المهمَّة التي أُوكلَت إليك على استعدادٍ لأن تفعل أي شيء ... ولكن هذا خطير جدًّا يا «توفيق».

تختخ: لعلك تخشى شيئًا؟

محب: إنك تعرف أنني لا أخشى أي شيء ... بل إنني ... كما تصفونني عادة ... أكثر المغامرين اندفاعًا ... ولكني في الحقيقة أخاف عليكَ أنت، خاصةً إذا كان «مايزر» يشك فيك فعلًا ... فهذا معناه أنه سيُفتش الفيلا جيدًا بعد خروجك ... وأنه قد يعثر على النافذة المفتوحة، فمثل هذه الحيلة لا تدخل عليه ... ومعناه أنكَ ستذهب لتجده في انتظارك!

مدَّ «تختخ» يده وربت رأس صديقه، وقال: معذرةً يا «محب» ... لعلني فعلًا مندفع وراء رغبتي في إنهاء المغامرة، وقد أرتكب أخطاءً قاتلة.

محب: إذن من الأفضل أن ننتظر المفتش غدًا ... وتروي له قصة سلسلة المفاتيح، والغرفة المغلقة ... وسوف يُحاصر المكان، ويمكنه القبض على «مايزر» في لحظات.

تختخ: اتفقنا.

محب: إذن أتركك الآن لتنام، وغدًا صباحًا نلتقي في الحديقة مع المفتش لنرى ما يجب عمله.

انصرف «محب»، ونظر «تختخ» إلى ساعته، كانت تُشير إلى التاسعة، وكان متعبًا، فتمدَّد في الفراش، وسرعان ما استسلم لنومٍ عميق ... ولكن بعد ست ساعات بالضبط؛ أي في الثالثة صباحًا ... استيقظ «تختخ» فجأةً على أثر حلم مزعج ... ونظر إلى ساعته، ثم جلس في فراشه، وأخذ يُحاول استعادة الحلم من جديد ... ولكن لم يستطِع أن يتذكَّر منه إلا القليل.

جلس هادئًا دقائق، ثم تمدَّد مرةً أخرى لينام ... ولكن النوم طار من عينَيه، وأخذ يتقلَّب في فراشه ... كانت فكرة الذهاب إلى فيلا «مايزر» ورؤية ما يحدث هناك، تُسيطر على عقله تمامًا ... وعبثًا حاول أن يطردها، وفجأةً سمع صوت نباح «زنجر»، لقد نساه تمامًا في هذه المغامرة، ومن غير أن يُفكِّر لحظةً واحدة، قفز من فراشه وأخذ يرتدي ثيابه ...

كان يلبس بسرعةٍ كأنه محموم ... وفي دقائق كان في الحديقة ... ووجد «زنجر» بجواره يزوم.

قال «تختخ»: أعرف أنكَ زعلان مني.

زام «زنجر» كأنه يقول نعم.

تختخ: ليس لك دور في هذه المغامرة يا «زنجر».

وكأنما لم تُعجب هذه الملاحظة «زنجر» ... فأخذ يزوم مرةً أخرى بشدة ...

وقال «تختخ» لنفسه: ... يبدو أنه يُصرُّ أن يأتي معي ...

ذهب إلى طرف الحديقة، وأخرج درَّاجته من الكشك الصغير ... وقفز عليها، ودون أي دعوة منه قفز «زنجر» في السلة الخلفية كعادته ... وهزَّ «تختخ» رأسه وانطلق ... كان يعرف أنه يُخالف اتفاقه مع «محب»، ويعرف أنه يُخالف تعليمات المفتش «سامي» ...

ولكن دافع المغامرة القوي في داخله حرَّك ساقَيه. واندفعت الدرَّاجة في طرقات «المعادي» الخالية.

كان القمر في آخر أيامه ... يُشبه شقةً من البطيخ الأبيض، في سماء سوداء ... ومضى «تختخ» وخلفه «زنجر»، وبعد ربع ساعة كان يقف قريبًا من الفيلا ... ونزل ... وترك درَّاجته بجوار سور تُغَطِّيه الأعشاب بعد أن أخفاها جيدًا ... ثم تقدَّم بهدوء من فيلا «مايزر» ...

كانت الفيلا غارقةً في الظلام ... والصمت يلف المكان، وأحسَّ «تختخ» أنه أخطأ خطأً فاحشًا بحضوره في هذه الساعة ... كان عقله يدفعه للعودة، وكانت قدماه تحملانه إلى الفيلا، واقترب من السور ... ومن الشجرة العتيقة التي تتدلَّى أفرعها خارج السور ... وبرغم سمنته، قفز بخفة وأمسك بأحد الأغصان ... ثم تدلَّى لحظات، واستجمع قوته، وهزَّ قدمَيه بشدة، ثم طوَّحهما إلى غصن أعلى ... وأخذ يشد نفسه إلى فوق، حتى استوى على الغصن القوي، وأخذ يزحف ... واقترب من السور، سور عريض كأنه سور قلعة قديمة، ومشى على السور حتى اقترب من النافذة التي تركها مفتوحة ... وأصاخ السمع ... كان كل شيء هادئًا تمامًا، وأمسك بأحد الأفرع، ثم تدلَّى إلى الناحية الثانية ... واقترب من النافذة في حذر، وأمسك بضلفة الخشب الخارجية، وجذبها بهدوء ... ولكن الخشب القديم أصدر صوتًا، خُيِّل لـ «تختخ» أن قنبلةً انفجرت بجوار أذنَيه مباشرة ... واستلقى على الأرض ... وأخذ يُصيخ السمع، وأخذ قلبه يدق بسرعة، ولكن شيئًا آخر لم يحدث ...

ماذا يفعل الآن؟ ... هل يستمر أو يعود؟ ... ومرةً أخرى تحَّركت ذراعاه بالرغم عن عقله ... ومدَّ يده ودفع الزجاج ... وفي هذه المرة لم يصدر سوى صوت ضئيل، وانتظر لحظات ... ثم قفز إلى حافة النافذة، ونزل بساقه إلى الداخل ... ثم ساقه الثانية، ووجد نفسه في غرفة الطعام، وكان الصمت يلف المكان.

كان يعرف مكان كلِّ شيء ... واستطاع برغم الظلام أن يمشي بهدوء وبثقة، حتى وصل إلى الدهليز الذي تقع فيه غرفته، وأخرج مصباحه الصغير، وأرسل شعاعًا رفيعًا من الضوء على الدهليز ... ودار بالشعاع حتى وقع على باب الغرفة المغلقة، وتسارعت دقَّات قلبه ... كانت سلسلة المفاتيح هناك، ومعنى هذا أن «مايزر» في داخل الغرفة.

خطا بهدوء حتى أصبح أمام الباب، ووضع أذنه وأصاخ السمع ... لم يكن هناك أي صوت ... ومدَّ يده إلى المفتاح وأداره، ثم بمنتهى الهدوء دفع باب الغرفة ونظر.

ودارت الدنيا أمام عينَيه ... كانت الغرفة فارغة، فارغة تمامًا ليس بها أي شيء سوى ضوء ضئيل جدًّا يصدر من جانب الغرفة ... دخل بهدوء وأدار ضوء بطَّاريته الصغير في

أرجاء الغرفة ... ومرةً أخرى لم يجِد أي شيء ... مجرَّد جدران عادية، قد غطَّتها شرائح من ورق قديم، يتدلَّى هنا وهناك.

دارت بذهنه عشرات الخواطر ... هل يدخل «مايزر» هذه الغرفة ليجلس على الأرض مثلًا؟ ... هل هي خلوة شاعرية؟ ليس بالغرفة حتى كرسي واحد ... لا شيء على الإطلاق ... إذن ماذا وراء هذه الجدران؟

مضى يتحسَّس الجدران العارية، ويدور عليها بأصابعه في خفة، ويستمع إلى صدى الصوت ... وكما توقَّع بالضبط، في الجدار المواجه للباب تمامًا، كان الصوت أجوف ... ودقَّ مرةً أخرى ... وتأكَّد أن ثمَّة شيئًا في هذا الجدار ... وأخذت أصابعه تتحسَّس الجدار في مختلِف أنحائه ... ثم فكَّر ... إذا كان هناك باب في هذه الجدران، باب سري ... فمن المنطقي أن يكون مقابل الباب الآخر. وهكذا ركَّز جهده على هذه المنطقة من الجدار، وأخذ يبحث ويبحث، وسرعان ما عثر على ما كان يبحث عنه خلف شرائح الورق القديمة المتدلية، تحسَّست أصابعه بروازًا صغيرًا يُشبه مقبضًا في حجم الإصبع الصغير، مخفًى بمهارة في تجويف بالجدار ... وأدار المقبض الصغير، وإذا بجزء من الجدار يدور حول نفسه، وينفتح على ظلام شديد ...

وتذكَّر «تختخ» على الفور أن جدار الفيلا الضخم يُجاور هذا الجزء من الفيلا تمامًا ... فهو إذن في قلب جدار الفيلا القديم الضخم. وأضاء بطاريته الصغيرة، وأدار شعاعها ... وتأكَّد أنه في قلب الجدار ... فقد كانت الأحجار الضخمة في مواجهته تمامًا ... وقد بلَّلتها المياه المتسرِّبة من الحديقة، وظهرت فيها بعض المزروعات الرفيعة ...

خطا «تختخ» داخل الجدار المجوَّف ... ثم مضى يمشي يسارًا ... نسي كلَّ المخاطر التي يتعرَّض لها من هذه المغامرة، ومشى على أرض مبلَّلة بالنشع ... ورائحة الرطوبة والعفونة تملأ المكان ... وظلَّ يمشي مع السور وهو ينحني يسارًا أكثر فأكثر حتى اقترب من نهايته ... وأدرك أنه الآن قريب من الكوخ القديم في الحديقة ...

وبدا له فجأةً كل شيء واضحًا ... إن «مايزر» يدخل من الغرفة المغلقة، ثم يمشي في تجويف الجدار حتى يصل إلى الكوخ ... وهناك ... ماذا هناك؟! ...

إن السر كلَّه في ذلك الكوخ ... وتقدَّم خطوةً أخرى، وفجأةً أضاء تجويف الجدار، ضوء وهَّاج أعشى عينَي «تختخ»، حتى إنه وضع يدَيه ... ليحجب عنه ذلك الضوء الشديد ... وسمع صوتًا يقول: أنت!

كان صوت «مايزر» ... ومضى «مايزر» يقول: تقدَّم ولا تُحاول أن تجري ... إنني أستطيع أن أقتلك بطلقة واحدة.

أنزل «تختخ» يدَيه، ثم تقدَّم كما طلب منه «مايزر»، حتى وجد نفسه أمام باب تجاوزه ... فوجد نفسه دون أدنى شكٍّ في الكوخ القديم.

إذن «مايزر» يدخل من باب الغرفة المغلقة ... ثم يدخل من الباب السري في الجدار، ثم يمر داخل تجويف الجدار ليصل إلى الكوخ ... ونظر «تختخ» حوله، ووجد رجلًا تُغطِّيه الضمادات ... إنه جريح.

وتذكَّر «تختخ» الرجلَ الذي جُرح في الحادث ... الرجل الذي وُجِدت معه الأفلام السرية ... إذن ﻓ «مايزر» هو الجاسوس، ولكن جاسوسًا يمسك بيده مسدسًا ضخمًا، يمكن أن ينسفه في لحظات ... وأحسَّ باليأس يتسرَّب إلى قلبه ...

الحمد لله ... انقطع التيَّار ...

في صباح اليوم التالي وصل المفتش «سامي» مبكِّرًا إلى حديقة منزل «تختخ» ... وهو يحمل سلسلة المفاتيح المصطنعة ... ودُهِش ألَّا يجد أحدًا في انتظاره كالعادة ... لا «تختخ» ولا «محب»، ولا حتى «زنجر» ... وجلس لحظات، ثم أحسَّ أن الأمور لا تسير على ما يرام، وكمفتش شرطة اشتُهر على كشف الجرائم المستعصية، قام فورًا واتجه إلى فيلا «تختخ»، حيث دقَّ الجرس، وفتحت الشغَّالة «حسنية» الباب ... كانت تعرف المفتش.

فقالت مرحِّبة: صباح الخير يا سيادة «المفتش».

ردَّ المفتش: صباح الخير يا «حسنية» ... أين «توفيق»؟

حسنية: إنه في غرفته ... ولا أدري لماذا تأخَّر في النوم ...

المفتش: دعيني أصعد لأراه.

وأسرع المفتش خلف «حسنية» إلى غرفة «تختخ»، وفتح الباب ... وبنظرةٍ واحدةٍ عرف ما حدث؛ كان واضحًا أن الفراش قد استُخدِم؛ معنى هذا أن «تختخ» قضى فترةً من الوقت في فراشه ... وكانت النافذة مفتوحة، وعرف المفتش على الفور أن «تختخ» غادر المنزل ...

وشاهد «محب» يدخل من باب الحديقة متعجِّلًا، فصاح به: ... «محب» صباح الخير، أين «توفيق»؟

محب: صباح الخير يا سيادة المفتش ... لم أرَه منذ أمس مساءً، وقد تركته لينام، على أن نلتقي في الصباح معك.

المفتش: ألم تُبلِّغه تعليماتي؟

محب: أبلغتها طبعًا ... وطلبتُ منه ألَّا يتحرَّك من مكانه حتى تحضر.

نزل المفتش مسرعًا وقال: أين التليفون؟

واتصل المفتش تليفونيًّا برجاله ... ثم أخذ «محب» معه، وذهبا لركوب سيارته، ووصل في تلك اللحظة بقية المغامرين، ولم يكن هناك وقت ... فقفزوا جميعًا إلى السيارة من غير أن ينطقوا بكلمة واحدة ... وانطلقت السيارة السوداء في شوارع «المعادي» إلى فيلا «مايزر» ... وسرعان ما كانوا يقفون أمام الباب الخارجي للحديقة، ومدَّ المفتش يده ودفع الباب، ودخل الجميع إلى الحديقة ... كان كل شيء هادئًا.

وقال «محب»: يمكننا الدخول من نافذة مفتوحة قال عنها «تختخ».

واتجه الجميع إليها، وقال المفتش: انتشروا في الحديقة، وابحثوا عن أي أثر لـ «تختخ»!

لوزة: إن زنجر متغيِّب أيضًا!

وفي هذه اللحظة سمعوا نباح الكلب الوفي ... ثم ظهر وهو يجري من ناحية الكوخ القديم في الحديقة ... وأسرع إلى «لوزة» وأخذ يدور وهو ينبح نباحًا حزينًا، واتجه الجميع إلى النافذة المفتوحة ... وقفز المفتش وخلفه «محب»، في حين انتشر الباقون في الحديقة، و«زنجر» يشد بثياب «لوزة» بأسنانه إلى حيث الكوخ ... وذهبت معه «لوزة»، وأخذت تدور حول الكوخ فلم تجِد منفذًا إليه ... في حين «زنجر» يقفز على باب الكوخ ... وأدركت «لوزة» أن «تختخ» بالداخل، فصاحت بـ «نوسة» و«عاطف»: «توفيق» في هذا الكوخ!

في هذه الأثناء كان المفتش ومعه «محب» قد دخلا الدهليز، واتجها إلى الغرفة المغلقة، وأخرج المفتش سلسلة المفاتيح المصطنعة، وفتح باب الغرفة، وكما حدث مع «تختخ» ... أصابته هو و«محب» دهشة بالغة؛ فقد كانت الغرفة خالية، وقال «محب»: لا بد أن هناك دهليزًا يتصل بهذه الغرفة!

وأخذ المفتش يدق على الجدران، حتى وصل إلى المقبض السري الذي استخدمه «تختخ» في الدخول ... وأداره، وانفتح الباب في الجدار ... ودخل المفتش وخلفه «محب»، وسارا في تجويف السور المظلم، حتى وصلا إلى باب الكوخ الخلفي، وكان مغلقًا ... ولم يتردَّد المفتش، وتراجع إلى الخلف ... ثم دفع الباب بكتفه فكسره ودخلا ... كان الكوخ مظلمًا ... ودقَّ المفتش يده يبحث عن مفتاح النور، وأداره ولكن النور لم يُضِئ ... وقال المفتش: إن النور مقطوع عن المكان.

وأخرج مصباحه الكهربائي وأطلقه ... وشاهد منظرًا جعله يصيح: ألم أَقُل لكَ لا تخالف تعليماتي!

كان «تختخ» مُلقًى على الأرض، مُوثق اليدَين والقدمَين، ومُكَمَّم الفم ... وعلى الفراش كان الرجل الجريح راقدًا على ظهره، موثقًا أيضًا.

أسرع المفتش يفتح النوافذ القديمة ... وتدفَّق نور النهار ... وأخذ المفتش يفك وثاق «تختخ» بمساعدة «محب» ... كان في حالة يُرثى لها من الإعياء، وكان يُردِّد كلمةً واحدة ... لم تنفجر ... لم تنفجر!

المفتش: ما هي؟

تختخ: قنبلة زمنية في الكوخ.

ودار المفتش بعينَيه وسرعان ما وجدها ... كانت قنبلةً زمنيةً كهربائية، وكانت موضوعةً على رفٍّ صغيرٍ في الجدار، وأسلاكها مُوصلة بفيشة الكهرباء، وقال «تختخ»: لماذا لم تنفجر؟!

ردَّ المفتش: لحسن حظك فقط ... إن النور انقطع في الوقت المناسب. لقد كانت ستنفجر في الخامسة والنصف صباحًا ... ولكن في الخامسة وخمس وعشرين دقيقة، انقطع النور كما هو واضح من عدَّاد القنبلة!

تختخ: لقد أنقذ انقطاع التيار حياتي وحياة هذا الجاسوس.

المفتش: أين «مايزر»؟ وماذا حدث؟ ...

تختخ: لا أدري أين هو ... لقد غادرَنا حوالي الساعة الخامسة ... وكنتُ قد تصرَّفتُ بحماقة.

كان المفتش يفصل أسلاك القنبلة ... عندما أضاء النور، كانت ثوانٍ قليلة هي الفاصلة بين الحياة والموت!

المفتش: وماذا بعد أن تصرَّفت بحماقة؟ ...

تختخ: استطعت الدخول إلى الممر السري في الجدار ... ووصلتُ إلى الكوخ، ولكن «مايزر» فاجأني ... فقد كان هناك جرس إنذار يدق في الكوخ إن دخل أحد من الباب السري في الجدار ...

كان المغامرون «عاطف» و«نوسة» و«لوزة»، ينظرون من النافذة إلى داخل الكوخ ... و«زنجر» يقفز كالمجنون، يُريد الدخول، ومضى «تختخ» يقول: كان في يد «مايزر» مسدس ضخم، فاضطُررتُ للاستسلام ... وأخذ يستجوبني ويُحاول معرفة الجهة التي أعمل لحسابها ... ولكني رفضتُ طبعًا الحديث ... وحاول معي بكل الوسائل، ثم شدَّ وثاقي.

وأشار المفتش إلى الرجل الجريح وقال: وهذا الرجل؟

تختخ: إنه الرجل الذي كان يركب السيارة، وأُصيب في الحادث، وكان معه الأفلام التي صُوِّرت للنماذج السرية. لقد حاول أن يذهب مع «مايزر»، ولكنه رفض. إنه رجل

لا قلب له ... فقد أسرع إلى شد وثاق الرجل الجريح ... وتركه معي، بعد أن أعد القنبلة لتنفجر بعد مغادرته الفيلا بنصف ساعة ... لولا أن الله سلَّم وانقطع التيار وأنقذ حياتي.

التفت المفتش إلى الرجل الجريح ... وأخذ يفك وثاقه، وهو يسأله بالإنجليزية: أظن لا داعي لأن تُنكر شيئًا ... ما حكايتك أنت و«مايزر»؟

كان الجريح يهذي بكلمات غير مفهومة ... وكان واضحًا أنه لم يلقَ عنايةً طبيةً حقيقية ... وأنه على وشك أن يموت، ووصل رجال المفتش «سامي» في هذه اللحظة، وأخذوا في تفتيش الفيلا، والحديقة والكوخ.

قال «تختخ» وهو يخرج إلى الحديقة مع المفتش والمغامرين: لقد عرفتُ سر «مايزر»، سر الكاميرا السرية التي يُصوِّر بها الأفلام.

التفت المفتش إليه فمضى يقول: مفاجأة لا تخطر على بال إنسان. لقد قلتُ لكَ إن شيئًا ما في سلوك «مايزر» شدَّ انتباهي ... أسلوبه في الأكل وفي السير.

المفتش: نعم ... أذكر لكَ الكلام الذي ردَّدته كثيرًا.

تختخ: إن «مايزر» أعور ... له عين واحدة فقط.

المفتش: وماذا يعني هذا؟

تختخ: إن الأعور لا يمكن أن يتصرَّف أو يمشي كالمُبصر ... إن ثمَّة أشياء صغيرةً لا يراها إذا كانت بجوار عينه المفقودة ... وقد لاحظتُ أنه أحيانًا لا يرى الملح ويطلبه مثلًا ... إذا وضعتُه إلى يساره، وهي ناحية عينه المفقودة.

المفتش: وما دخل هذا بالكاميرا السرية؟

تختخ: إن عين «مايزر» المفقودة هي الكاميرا السرية ... لقد قامت الجهة التي يعمل بها بوضع كاميرا شديدة الدقة مكان عينه المفقودة، ولم يكن عليه إلا أن يُحرِّك أجفانه حتى تقوم الكاميرا بعملها.

توقَّف الجميع في الحديقة ... مبهورين بحديث «تختخ»، الذي مضى يقول: وهكذا كنتم تُفتِّشون «مايزر» مع بقية الخبراء ... وبالطبع لا يمكن أن يخطر على بالكم أن تُفتِّشوا عينه ... وفي هذه العين المفقودة كان السر الكبير، سر «مايزر» ... سر الكاميرا السحرية!

المفتش: وكان يعود إلى الفيلا ويدخل الكوخ، ويُخرج الكاميرا الصغيرة، ويُخرج منها الأفلام ويقوم بتسليمها إلى هذا الرجل الجريح!

تختخ: بالضبط ... إن الرجل الجريح اسمه «كادوجان» ... وكان هو الذي يأتي لأخذ الأفلام، والسفر بها إلى الخارج ... ولكن حادث السيارة الذي تعرَّض له كان البداية ...

وعندما هرب من المستشفى لم يكن له مأوًى إلا هذا المكان ... ولكن جراحه كانت كبيرةً فلم يُشفَ، وهو الآن في حالة سيئة.

المفتش: سأُرسله إلى المستشفى فورًا ... وسنبدأ استجوابه بمجرَّد تحسُّن حالته.

لوزة: و«مايزر» يا سيادة المفتش؟

المفتش: إنه لن يذهب بعيدًا فعندنا أوصافه ... ورقم سيارته، وسنُصدر تعليمات إلى جميع المطارات والموانئ بالقبض عليه، بمجرَّد ظهوره في أي مكان!

نوسة: إنه جاسوس داهية.

المفتش: فعلًا ... ولكن هذا المغامر الذكي استطاع الوصول إليه ... ببعض الملاحظات، وبعلبة مرهم العين التي كانت في الحمام.

ابتسم «تختخ» وهو يربت رأس «زنجر» ويقول: أنت صاحب الفضل الأول، لقد وضعتني في الطريق الصحيح ...

وفي هذه اللحظة ظهر الشاويش «فرقع» ... وأخذ ينظر بدهشة شديدة إلى الجميع.


هنداوي